عرض كتاب

"الانتصار للتدمرية"

م. ماهر أمير

فرغتُ من أصعب كتاب قرأته في حياتي!

كانت كتابات طه عبدالرحمن تصعب عليّ كثيراً، لكنها صعوبة تراكيب وجُمل، أما هذا الكتاب (= الانتصار للتدمرية، ماهر أمير) فقد كُتب بأسلوب أفهمه عادة، لكنه تضمن قضايا وعُقداً عقدية أعرفها بشكل إجمالي، وتطرق لها المؤلف (=ماهر أمير) بشكل تفصيلي عميق جداً.

الكتاب يتعلق برسالة شيخ الإسلام ابن تيمية "**التدمرية**" أشهر الرسائل السلفية، وفي ميدانها قامت أكبر المعارك مع الأشاعرة القدامى والمعاصرين!

أراد المؤلف من هذا الكتاب الضخم جداً (1107 صفحة، في مجلد واحد) أن «**يجد القارئ في الكتاب شرحاً وافياً جلياً لمقاصد الرسالة ومنهج مؤلفها...وليبصر القارئ منهجاً سنياً عقلانياً في الحوار والحجاج، وليتسلح بنقولات "تقمع" خصومه وتمنع عنه اللجاج... ويفتح لقارئه باب مطوّلات الشيخ**» اهـ بتصرف.

وكما يظهر من مجموع هذه النصوص= **الكتاب لا يصلح أبداً للمبتدئين، ولا حتى المتوسطين**، فرغم أني حضرت دروساً في شرح الرسالة -معتمدة في الأساس على هذا الكتاب- وقرأت شرح شيخنا البراك المعروف بتخصصه في هذه الرسالة خاصة، وتراث ابن تيمية عامة، فضلاً عن دراسة الرسالة في الجامعة، إلا أن فصولاً وجزئيات من هذا الكتاب استصعبت عليّ كثيراً.

<u>أيضاً:</u> يظهر جلياً من مقدمة الكتاب وثناياه **همّ المؤلف الحجاجي**، فإنه أراد تسليح طالب العلم السني «**بنقولات تقمع خصومه وتمنع عنه اللجاج**» <u>ولهذا أكثر جداً من النقل عن أئمة علم الكلام</u>، خاصة الأشاعرة لتفكيك حجج خصمه، ذلك الخصم الذي أبى "ماهر أمير" تسميته طوال الكتاب إلا بـ«**الناقض**» (= سعيد فودة، وكتابه نقض التدمرية)، وفي هذه الناحية تحديداً **أظهر ماهر أمير إطّلاعاً واسعاً على مؤلفات القوم**، إطّلاعاً تشعر معه أن لدى "ماهر أمير" **<u>قاعدة بيانات أشعرية</u>** تفصيلية لكل جزئية من جزئيات وأفكار التدمرية، وفي هذا الميدان لعب ماهر أمير بذكاء بالغ جداً، حيث يقوم بأحد أمرين:

1- إما **الضرب على وتر التناقض** وعدم الاطّراد حينما يشنّع «الناقض» على ابن تيمية في مسألة قررها بعض أئمة الأشاعرة.

2- أو يقرر «الناقض» قضايا يزعمها عقليات قطعية، فيأتي ماهر أمير **بكلام أئمة الأشاعرة التي إما تسقطها، أو تُضعف قطعيتها**، وبالتالي لا يصح معارضتها للوحي القطعي!

<u>أقام المؤلف «ماهر أمير» كتابه على شطرين:</u>

1- شطر تعرض فيه **للأفكار الأساسية المبحوثة في باب الأسماء والصفات**، والتي اعتمد عليها شيخ الإسلام في رسالته، كـ: الكلام على توقيف الأسماء والصفات، والموقف من الألفاظ المجملة، والكيف، والإثبات المفصّل والنفي المجمل، والقدر المشترك. **فبيّن مقاصد الشيخ ابن تيمية وتفاصيل كلامه في هذه القضايا، وأغاليط** «**الناقض**» في فهم كلام شيخ الإسلام، **بل وأكاذيبه** في أحيان كثيرة!!!

2- وشطر تطرق فيه **لقواعد الرسالة التدمرية**، قاعدةً قاعدة، مفصلاً الكلام فيها، ومجلّياً لمراد الشيخ فيها وأغاليط الناقض عليه.

وفي كل ذلك يظهر لك المستوى العلمي الضعيف «**للناقض**»؛ لا في فهم كلام خصمه فقط، وإنما حتى في فهم قضايا مذهبه العقدي، والاطلاع على تفاصيل كلامة أئمته الأشاعرة!

امتازت الرسالة بمميزات عديدة، سبق بعضها. ومن تلك المميزات أيضاً:

1- ختم فصولاً عديدة **بحوارات تمثيلية** بين سني وأشعري، **يلخّص** فيها «ماهر أمير» ما سبق هذا الحوار، ويستفيد منه القارئ الصنعة الحجاجية مع القوم.

2- **لخّص وبيّن مراد الشيخ في كل قاعدة،** بيان يحسن بطالب العلم نقله على طرة صفحات الرسالة التدمرية.

كما أنه يلخّص النقول الطويلة، فيلخصها ويرتب أفكارها في نقاط، سواء من كلام ابن تيمية، أو المتكلمين، بل وحتى «الناقض»، كما أنه يفْصِل بين عبارات النقول الطويلة بشروحات مهمة.

3- **ينبه على بعض أخطاء السلفيين في هذا الباب،** سواء في فهم تقريرات ابن تيمية وتطبيقها، أو التعامل مع بعض النصوص الواردة عن الأئمة (انظر مثلاً ص114).

قدّم المؤلف كتابه بتقريرات منهجية مهمة في التعامل مع نقلياته وعقلياته، وما يندرج تحتها كي يستحضرها القارئ طوال القراءة في هذا الكتاب، فيستغني عن تكرارها في ثنايا تلك البحوث.

توسع المؤلف في قضايا مهمة، وفكّك إشكالاتها بما لا مزيد عليه؛ ك: قضية «**قيام الحوادث**» التي جعلها المعطلة معولاً لنقض الصفات الإلهية، وجعل "صفة الكلام" نموذجاً يقاس عليه بقية الصفات.

فقرّر: أن الله فعّال لما يريد، وتواتر ذلك شرعاً وفطرة، ثم أوضح كلام السلف البيّن، ثم رأي المتكلمين الذين أقروا وألزموا بقيام الحوادث، ثم ناقش شبهات المانعين، في تسلسل جيد

ومحكم، مع بيان الإجمال في «قيام الحوادث»، وعدم جواز إطلاقها في حق الباري لذلك، وبيان الجملة الدقيقة المعبرة عن واقع القضية.

<u>أيضاً:</u> فصل مهم في «القياس» واستخدامه في حق الله، وبيّن فيه **جهد ابن تيمية الذي لم يُسبق إليه** فيما يجوز وما لا يجوز في حق الله.

أظهر «ماهر أمير» إحاطة "مرعبة" بكلام خصمه «الناقض»، وتفنن في بيان تناقضات الناقض؛ سواء في كتبه المطبوعة، أو حتى مقالاته الشبكية، وكان متتبعاً له بدقة (انظر مثلاً ص891) وفي مثل هذا **يُظهر «ماهر أمير» نَفَساً ساخراً** أفرغه على رأس «الناقض» في مواضع عديدة (انظر مثلاً ص165، 666).

<u>استخدم ماهر أمير تقنية «ضرب الأشاعرة بعضها ببعض» بمهارة شديدة</u>، فيضع المقارنات بين النصوص المتعارضة، والتي يرد بعضها على بعض، وتنقض بعضها بعضاً من داخل المدرسة الأشعرية (= وانظر مثلاً مقارنته بين كلام الرازي في عدم إفادة النصوص اليقين وتأصيله لها، مع كلام السبكي في عدم جواز الكلام بالمجاز من المفتي للعوام ص995)، وكثيراً ما ينقض «ماهر أمير» كلام «الناقض» بكلام أئمة مذهبه الأشعري.

<u>كان «ماهر أمير» بارعاً في كشف "خطابيات" «الناقض»</u>، فيأتي بكلامه الخطابي فيبدّل كلماتها لتوافق مذهب أهل السنة، ليبيّن أن كلامه مجرد دعوى بلا دليل، يمكن قلبها عليه بمجرد تغيير كلماتها، وأحياناً يستخدم حجة الناقض والأشاعرة فيبدّل بعض كلماتها في الصفات التي يثبتونها لتوافق احتجاج المعتزلة عليهم.

<u>هناك فصول مهمة جداً أحسن المؤلف في عرضها:</u>

- سبب إصرار المتكلمين الأشاعرة على استعمال الألفاظ المجملة مع السني (ص117).
- تحليل أثر الإمام مالك في الاستواء (ص158، <u>يصلح مطالعته بمناسبة كلام حاتم العوني في كتابه الأخير!</u>).
- نصوص مهمة في إثبات أصل الكيفية من كلام السلف (ص152).

- فصل في التورية (صـ932).
- تفصيل مهم ورائع في مذهب التفويض، تضمن إشكالات وقواعد (صـ1007).
- نقاش مهم لآية المتشابه، وبيان أن الدليل أخص من دعوى المتكلمين (صـ1048).
- **نفى وجود مذهب أِشعري واضح الملامح** (صـ1091) وأنهم **تفرغوا لابن تيمية وتغاضوا عن مخالفات أصحابهم**، وختم بجدول رائع للقضايا التي وافق فيها كثيرٌ من الأشاعرة ابنَ تيمية!

أخيراً: لا يصلح الكتاب إلا لطالب علم متقدم في علم المعتقد، وضبط قبل ولوج لجة الكتاب: الواسطية والتدمرية، فهو كتاب نصرة وحجاج، يستفيد منه طالب العلم لا لتأصيل نفسه في الباب، وإنما لتقوية وتدعيم حجته أمام استطالات الأشاعرة على أهل السنة.

والحمد لله رب العالمين.

حُرّر ليلة 15/ 8/ 1446هـ